مجلد بحوث المؤتمر العلمي الدولي الاول لكلية التربية غريان ـ جامعة غريان
المنعقد في الفترة
من 8- 9/ 11/ 2025
(المجلد الثالث)

تمثلات الجسد في رواية الموت عمل شاق لخالد خليفة

د.محمد بوبركة[1] ، أ.صلاح الحصن2
[1] قسم اللغة العربية، كلية الأداب طبرق، جامعة طبرق، طبرق، ليبيا
[2] قسم اللغة العربية، كلية التربية طبقة، جامعة الزنتان ، ليبيا
salahalhossan739@gmail.com

Representations of the Body in Khaled Khalifa's Novel "Death"

Dr. Mohamed Bouberka1, Mr. Salah Al-Hassan2
1 Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tobruk, University of Tobruk, Tobruk, Libya
2 Department of Arabic Language, Faculty of Education, Tabqa, University of Zintan, Libya

تاريخ الاستلام: 23-06-2025، تاريخ القبول: 15-9-2025، تاريخ النشر: 8 – 11- 2025.

الملخص:

يتناول هذا البحث حضور الجسد الإنساني وتمثله في رواية الموت عمل شاق للروائي خالد خليفة، فالجسد يشكل ثيمة مهمة في أي عمل روائي، ولاسيما رواية الموت عمل شاق، حيث تتطرق إلى الحياة والموت والحرب والبقاء والفناء، فيرصد البحث علاقة الشخصيات داخل الرواية بين بعضها البعض، وبين محيطها الخارجي، فهي تعاني من اختلافات ومشكلات عدة أحاطت بها، فالجسد يشكل داخل الرواية بصفة عامة حضورا محوريا مهما،فالجسد البشري لازمة من لوازم العمل السردي الذي ينبعث من شخوص الرواية.

وقد قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة لأهم النتائج:

المبحث الأول : مفهوم الجسد وعلاقته بالرواية.

المبحث الثاني: حضور الجسد في رواية الموت عمل شاق.

الكلمات المفتاحية: الجسد، خالد خليفة، رواية، الموت، الحياة، الحرب.

Abstract:

This research examines the presence and representation of the human body in the novel "Death is Hard Work" by Khaled Khalifa. The body constitutes an important theme in any novel, especially "Death is Hard Work," as it addresses life, death, war, survival, and annihilation. The research examines the relationships between the characters within the novel and their external environment. It suffers from several differences and problems surrounding it. The body, in general, constitutes a central and important presence within the novel, as the human body is a necessary component of the narrative work emanating from the novel's characters.

The research is divided into an introduction, two chapters, and a conclusion of the most important findings:

The first chapter: The concept of the body and its relationship to the novel.

The second chapter: The presence of the body in the novel Death is a difficult task.

Keywords: The Body, Khaled Khalifa, Novel, Death, Life, War.

المبحث الأول : مفهوم الجسد وعلاقته بالرواية:

الجسد عامل مهم في الرواية، فهو لازم من لوازم الرواية، فلا تخلو الرواية مهما كان طولها أو قصرها من حضور عدة أجساد داخل العمل السردي، وهي الشخصيات التي تعد من أهم عناصر السرد، فقد شهدت الدراسات الروائية الحديثة بالجسد وتشكلاته في السرد، وتناولت هذه الدراسات الجسد من خلال الصفات الخلقية، والخلقية، وما يعترى الجسد من قوة وضعف، شباب وشيبة، حياة وموت.

نسعى في هذا المبحث تبيين مفهوم الجسد وطبيعته وتشكله في العلوم الإنسانية والأدبية بصفة عامة، وفي العمل السردي بصفة خاصة.

تعريف الجسد ومفاهيمه:

تعددت تعريفات الجسد ومفاهيمه من خلال المعاني اللغوية والاصطلاحية التي رصدته المعاجم اللغوية والاصطلاحية، وهذه التعريفات والمفاهيم الخاصة بالجسد على النحو الآتي:

تعريف الجسد لغة واصطلاحا:

أولا- الجسد لغة :

لقد جاء في معجم لسان العرب لابن في مادة (ج س د) قوله:الجسد جسما لإنسان ولا يقال لغيره من الأَجسام المغتذية ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأَرض والجَسَد البدن تقول منه تَجَسَّد، كما تقول من الجسم تجسَّما (ابن سيده) وقد يقال للملائكة والجنّ جسد غيره وكل خلق لا يأْكل، ولا يشرب

من نحو الملائكة والجنّ، مما يعقل فهو جسد، وكان عجل بني إسرائيل جسدا يصيح، لا يأكل، ولا يشرب[1].

فالجسد بهذا المعنى خاص بكل كائن حي يعيش، ويتحرك أما غير الحي، فلا يطلق على هيئته وشكله فلا يطلق عليه جسد بداهة، فالإنسان، والحيوان، والطائر، وكل ما يأكل ويشرب تعد أجسادا، وكذلك الملائكة والجن، تعد أجسادا.

ثانيا– اصطلاحا:

تعددت وتنوعت تعريفات الجسد بحسب العلوم الإنسانية، حيث أن لكل علم من العلوم تعريفات خاصة به، وقبل الولوج في تعريفات الجسد، نبين أولا بداية ونشأة الجسد كمصطلح في العلوم الإنسانية.

فبداية الجسد ونشأته وانطلاقته كمصطلح كان في العلوم الإنسانية والاجتماعية، من خلال بدايته وتعريفه وأطره، ومفاهيمه وانتقاله بين العلوم الإنسانية والمعرفية والثقافية، وخاصة العلوم الأدبية والنقدية، ولاسيما السردية الروائية منها موضوع بحثنا هذا.

تشكل الاهتمام بالجسد أول مرة كان في حقل علم الاجتماع؛ حيث طرح آنتوني جيدنز مصطلح (الحداثية العالية) لوصف التغييرات الحديثة في القرن العشرين... فتظل الاهتمامات الحداثية تشكل الحياة الاجتماعية، فحضور الجسد المكثف في ثقافة المستهلك بوصفه حاملا لقيمة رمزية، ثمة نزوع عند الناس في حقبة الحداثة العالية نحو منح قدر أكبر من الأهمية أداة لتشكيل الذات، فالجسد يؤمَّن أساسا صلبا لإعادة بناء معنى للعالم الحديث جدير الثقة[2].

فالجسد يؤطر ويقنن من منظور جيدنز، يشكل أساسا متينا للحياة الاجتماعية داخل أي مجتمع يطرح فيه فكرة حضور الجسد، فيكون الجسد من جهة أخرى حاملا لقيم رمزية للمجتمع في الحقبة الحداثية التي بدأت منذ منتصف الستينيات في القرن العشرين[3].

فهو يعد(أي الجسد)، فمن منظور العالم الحديث انثروبولوجي اجتماعي التي تتخذ الجسد كسلك ناقل، إنها في مرآة مجتمع معين، كمجتمعنا، بضع فصول ممكنة في أنثربولوجيا الجسد. إن الأمر يتعلق أيضا بعلم أنثروبولوجيا الحاضر الذي يسلك غالبا الطريق المنحرف لعلم الأخلاق والتاريخ، إن وجود الإنسان وجود جسدي، والمعالجة الاجتماعية والثقافية التي يعد موضوعا لها والصور التي تتكلم عن عمقه المخبأ، والقيم التي تميزه ...وبما أن الجسد يوجد في قلب العمل الفردي والجماعي، وفي قلب الرمزية الاجتماعية، فإنه يعد محللا له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر[4].

سوف نتطرق لتعريف الجسد اصطلاحا في علمين مهمين؛ وهما علم الاجتماع والعلوم النقدية خاصة السرد، وذلك لأن نشأته كانت في مجال علم الاجتماع، ومجال السرد لأن بحثنا يناقش الجسد داخل الجنس السردي الروائي المتمثل في رواية الموت عمل شاق لخالد خليفة.

تعريف الجسد في علم الاجتماع هو: ذلك الكائن البشري الذي يكون له اتصال مع مختلف الميادين التي تعطي معنى للوجود الجماعي، وهو أي الجسد يتكون من عناصر أربعة هي الماء (الدم وسوائل الجسد) والأرض (الهيكل العظمي) والهواء (النفخية الحيوية) والنار (الحرار الحيوانية أو الجنسية)[5].

ثالثا – التعريف الفلسفي والإجرائي:

1- **التعريف الفلسفي** : يأتي التعريف الفلسفي للجسد بشكل أكثر تحديدا وتأكيدا لفكرة الجسد، فهو ليس تلك الكتلة اللحمية والعظمية بما يتخللها من سوائل الجسم كالماء والدم وغيرها، فهو (أي الجسد) ذلك الكائن بما هو منبع الوعي والفكر والحركة،إنه أصل ينبع منه كل شكل غامض لأشكال الفكر والوعي، فالجسد –كما يحدده نيتشة– هو عقلك الكبير[6].

2- **التعريف الإجرائي** :نقصد بالتعريف الإجرائي هنا هو توضيح هذا التعريف لهذا المصطلح داخل البيئة الأدبية والنقدية، ونخص بالإطار النقدي هو الجانب السردي المتمثل في الرواية موضوع البحث، فالجسد في الجنس الروائي السردي هو عبارة عن مجموعة من العوامل والأسس التي تتمظهر في بناء السردي الروائي والقصصي، وتكون هذا العوامل والأسس متكونة من شخوص الرواية أي كل متشخص فيها سواء أكان إنسانا، أم حيوانا، أم جمادا، أم نباتا، أم غيرها، مما يسهم في بناء حبكة الرواية.

الجسد يشكل في العمل الروائي شكلا ثقافيا وفنيا واجتماعيا ، حيث يبنى العمل السردي على دور الجسد المتمثل في عدة أحوال وأنماط تجسيدية، منها الشخصيات إنسانا أم حيوانا أم جمادا أم نباتا، كل حسب توظيف الراوي في بناء السرد،فهو يعد بناءا رمزيا، وليس حقيقة مجردة في حد ذاتها.

ومن هنا نشأ عدد لا يحصى من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى،وسبب طابعها الغريب والشاذ والمتناقض، من مجتمع لآخر[7].

المبحث الثاني: حضور الجسد في رواية الموت عمل شاق:

في هذا المبحث نرصد فيه تطبيقية من رواية الموت عمل شاق لكاتبها خالد خليفة وقد تركز الحضور في الرواية من خلال عدة ثيمات مهمة فيها، مثل الموت والحياة وما بينهما، حيث كانت شخصيات الروايات بين الموت الفعلي، وشبه الموت وهو تعرض الشخصيات للموت الفعلي؛ ولكنها لا تموت بالفعل، فقد مرت الشخصيات بمشاكل عديدة من جراء نقل جثمان والدهم عبداللطيف السالم من مكان موته (دمشق) إلى مسقط رأسه (العنابية)، حيث طلب منهم دفنه فيه، فمأزق هذه الوصية زاد العبء على شخصيات الرواية لوجود ثورة أعقبتها حرب داخلية طاحنة بين النظام الحاكم وقوات المعارضة في سوريا،

لقد تنقلت شخصيات الرواية، وهم أفراد عائلته الثلاثة (بلبل ،وحسين ،وفاطمة)عبر حواجز وبوابات عديدة للنظام، وكذلك للمعارضة، وما فيها من مضايقات وتحقيقات، ومما زاد الأمر صعوبة حملهم لجثة لا يعرف هل قتلت أم ماتت ميتة طبيعية، ومن ثم تعرف أفراد النظام على جثة عبداللطيف السالم، فهو من قادة المعارضة، وقد تسبب في مقتل عدد من قوات النظام، مما ترتب صعوبات كبيرة جدا على أفراد العائلة.

أولا- الجسد في عتبة العنوان:

أول عتبة تجسدية تقابلنا في الرواية هو عنوانها، وخاصة الكلمة الأولى منها فعنوان الرواية هو الموت عمل شاق، فكلمة الموت هي تعبير عن استلاب الروح من الجسد الحي، فالموت انتهاء الحياة وتوقفها عن النمو والتطور والتجدد، والموت هو عامل الاضمحلال والتلاشي والانتهاء، تخرج الروح

من الجسد فيبقى بلا حركة ولا تطور، كما يوحي عنوان الرواية ويشير(الموت عمل شاق) لفكرة عمل يقوم به مكلفون فرادى أو جماعات ضد آخرين، والآخرون بدورهم يقومون بذلك العمل ضدهم، فيشير لمعارك يتبادل فيه الطرفان إيذاء بعضهم البعض سواء بمقابل مادي أو معنوي، فهو عمل قاس، وشاق، ومتعب جدا.

فالراوي يبين وظيفتين للعنوان، وهي وظيفة الاستهلال تقدم جزءا مهما للأحداث والمحطات في سير السرد، فهو يشكل وظيفة تشويقية وإغرائية أو تفسيرية للقارئ، الاستهلال في الغالب يكون في الجملة الأولى من الرواية، ولكن رواية الموت عمل شاق تجعل من العنوان استهلال أولي، والتي بموجبها يجهز المتلقي لاستقبال عمل سردي فني ملئ بثيمة الموت الطاغية على كل الرواية، فالاستهلال، كما قال جيرار جينيت، نوعان إحداها المقدم من الخارج، أي من الكاتب، وهو ما يشير لعنوان العمل الفني، والثاني المقدم من شخصية الرواية.

إنّ الاستهلال يمنح النص قيمة نصية، ودلالية مهمة، يجعله ركنا الفقرة الأولى بالطبع تنطوي على أهمية كبيرة، وهذه هي النقطة التي تأسر عند القارئ تفقده إلى الأبد[8].

والوظيفة الثانية هي الوظيفة الرمزية التي تجعل من المتلقي يخضع لعدة أفكار ً لا يمكن الاستغناء عن وظيفته المؤداة في جسد النص القصصي والسردي، ولهذا كانت مفاهيم، تشير لفكرة انتهاء الحياة، أو مرورها بأزمات صعبة .

ومن ثم ينطلق السارد الذي يقود دفة السرد داخل النص الروائي الموت عمل شاق ، حيث يستدعى استهلال أخر، يشير فيه إلى الساعات الأخيرة من حياته، حيث جسد عبداللطيف السالم

الذي قضى عمره في المعاناة والكفاح والنضال، وكأنه يقول لابنه بلبل آن لجسده المتعب بأن يرتاح، ولكن هذه الارتياح لن يتحقق كليا إلاَّ بأن يحقق أولاده وصيته، وهي دفنه في قريته العنابية " قبل موته بساعتين، نظر عبداللطيف السالم بما بقى له من قوة في عيني ابنه بلبل، كأنه ينتزع منه وعدا مؤكدا، ثم أعاد طلب دفنه في مقبرة قريته العنابية . عظامه سترتاح بعد زمن طويل قرب رماد أخته ليلى كما قال"[9].

من خلال هذه الاستهلال ذات الطبيعة النفسية القلقة الحزينة المعذبة المشرفة على الموت، فالروح تتهالك والجسد يكاد يدس في التراب، فهي لحظات مؤذنة بالانتهاء والاضمحلال، فرحلة الحياة داخل جسد عبداللطيف السالم آذنت بالرحيل، بعد عهد كفاحي طويل مع الحياة، وما فيها من مصاعب ومتاعب اجتماعية، ونفسية وسياسية واقتصادية وغيرها، فالجسد يشتاق لموطنه الأصلي، مرتع الصبا وانبثاقه الأول للحياة، فهو يُلح في وصيته على ابنه حتى ترتاح عظامه، وقبل ذلك روحه قبل انسلالها ولحاقها بالرفيق الأعلى.

ثانيا– الجسد بين الاغتراب والموت:

شكل جسد عبداللطيف السالم الثيمة الرئيسة للجسد المغترب المعذب الذي وصل إلى نهاية المطاف، إضافة إلى أجساد أبنائه الثالثة ((بلبل،وحسين،وفاطمة)، وكذلك أجساد المعارضة التي حاول النظام تحييدها عن المشهد، ومن وجهة النظام الذين هم عبارة عن أجساد تحاول المعارضة تحييدها هي الأخرى.

فاضت روح عبداللطيف السالم، وترك الأبناء يعانون من جراء ثقل الوصية التي حملها لهم، وخاصة ابنه الأوسط بلبل الذي شعر بالخوف والقلق والندم لو نفذ هذه الوصية المتعبة والمرهقة.

يقول الراوي: " شعر بلبل بالندم بأنه لم يكن حازما، كان يجب أن يخبر أباه بصعوبة تنفيذ الوصية في مثل هذه الأيام، فالقتلى في كل مكان، يدفنون في مقابر جماعية، ودون تدقيق في هوياتهم، مراسم العزاء حتى بالنسبة للعائلات الغنية اختُصرت إلى ساعات قليلة"[10].

فالجسد هنا، ومن خلال معطاه الثقافي والاجتماعي، يوضح صورة روائية منطلقة بطبيعة الحال من خلال نظرة اجتماعية عاكسة لصورة من صور المجتمع، وفي جزئية مهمة مر به مجتمع ما، عبر شخصيات معينة منه بتجربة حياتية شكلت ثيمة مهمة في التجربة الروائية.

الجسد ليس فقط معطى بيولوجي، بل يشكل معطى ثقافي واجتماعي رئيس، فهو (أي الجسد) يُشعَر الفرد بهويته التي تمنحه الإحساس بالوجود والتفرد من جهة، وتمنحه الوعي بالآخر من جهة أخرى ...فالصورة التي يكونها الفرد ليست تمثلات شخصية محضة، بل هي مجموعة من القيم والطقوس التي تزخر بها ثقافة الانتماء، فعلاقة الإنسان بجسده ليست علاقة بيولوجية محضة بقدر ما هي علاقة محملة بالدلالات والقيم الاجتماعية والثقافية [11].

الجسد بهذا المعنى يشكل نسقا ثقافيا مضمرا يسهم التحليل الاجتماعي الفاعل للقيم الاجتماعية والنفسية والثقافية في النص السردي، عبر القيم والمؤطرات والطقوس المحملة بعديد الدلالات الاجتماعية والنفسية .

إن الطابع التخييلي للجسد يندرج في نمطين، الأول هو مكون خطابيا ومعرفيا للثقافة العربية، والثاني مكونا ثقافيا تنهض عليه معرفة حاضر الخطاب الثقافي على الجسد في الثقافة العربية المعاصرة[12].

شكل جسد الميت عبداللطيف السالم أيقونة نفسية متأزمة في وجدان أسرته وخاصة بلبل، أزمة فرضها عليهم واقع اجتماعي وثقافي خاص، جعل من جسد أبيهم عبئا ثقيلا عليهم يعرضهم جميعا لأزمات عدة، فهو أي بلبل تحديدا يعد: " جثمان أبيه عبء ثقيل، في لحظة عاطفية خاطئة وعده في قبر عمته ليلى التي يعرفها"[13].ف"الموت واحد في كل الأوقات إلاَّ أنه عبء ثقيل على الأحياء"[14].

عبء يقع كبير على عاتق الأبناء الثلاثة، وكأن هذا الجسد يمثل معاناة الوطن، وما مر به من مرحلة ضياع، وتيه، فهو يضيع من بين يدي أبنائه المشتتون أصلا فيما بينهما، فأبناء عبداللطيف السالم –على صعيد الأسرة– متخاصمون ومختلفون، فيما بينهم، ما جمعهم إلاَّ موت الأب، وكأنه واجب مقدس وجب القيام به تجاه الأب، الذي يمثل الوطن والملاذ الآمن له، وإن كان في حالة اضمحلال وتلاشي.

ومن ناحية ثانية نجد متلازمة من معاناة الوطن متمثلة في الجسد الجمعي، إذا جاز هذه التعبير اللغوي، وهو والموت والاغتراب، فهناك أجساد عديدة تتقاتل وتتدافع في خضم الرواية، تتعرض للموت الطبيعي، وهو إزهاق الروح وقتلها وبعضها الأخر للموت النفسي والاجتماعي؛ أي أجساد معرضة للألم الشديد أو الموت، أو لنقل بعبارة أخرى أن هذه الأجساد وحسب ما يقوله فوكو :إنه (أي الجسد) معرض للتغريب والتعنيف من قبل السلطة[15].

فالتعنيف والإيذاء الجسدي قائم بين قوى النظام والمعارضة حيث" ... في الممرات وجوه قاتمة وحزينة لرجال ونساء ينتظرون تسلم جثث أحبتهم "[16].

الجميع يتبادل إقصاء الآخر من الحياة عن طريق القتل والموت، فأجساد هدفها إلغاء أجساد وتحييدها من الوجود نهائيا قدر الإمكان، موت الناس جمعيا سواء الأحياء منهم، أو الموتى حقيقيا، فهم في حزن عميق، وقهر كبير من جراء فقد أحبتهم الذين قتلوا جراء الحرب!!.

يزيد من درجة الإيذاء قسوة وألما على الجميع ف: "كان المشهد المشرحة مرعبا، ضباط يسيرون في الممرات، يتحدثون بغضب، ويشتمون مسلحي المعارضة بكلمات قاسية،عساكر بعتادهم الحربي الكامل يجولون دون هدف، تفوح من جلودهم رائحة المعارك، أتوا برفاقهم جرحى أو قتلى، وكان التلكؤ فرصة لهربهم أو تمهلهم في العودة إلى حيث ينتظرهم الموت، كل شئ يبدو قريبا من الموت في هذه الفوضى"[17].

فالإيذاء الجسدي والنفسي حاضر بصورة واضحة وجلية، فالقتل وإعطاب الخصم هدف الجميع في تلك الخصومات والمعارك، إضافة إلى الإيذاء المعنوي بالشتم والسب ،الذي يؤثر على النفس، ومن ثم ينسحب هذا التأثير على الجسد الحامل للنفس والروح. فأجساد تحاول إنقاذ نفسها من خلال إيذاء الأجساد المقابلة لها في العدائية والخصومة، وترفع الإلغاء والشطب عنها.

فإيذاء الجسد بالموت أو الجروح القاتلة أو العاهات، فقد تعرض عبداللطيف السالم لجروح أدت في الأخير لموته، حيث أتى به رفاقه المقاتلون من المعارضة في بقية أيامه الأخيرة، فقد:" أتوا به نظيفا،

من الواضح أنهم اعتنوا برفيقهم، الذي اختار البقاء معهم برغم الحصار المفروض على البلدة منذ أكثر من ثلاث سنوات"[18].

وكأن بجسده المتعب الهزيل انتهت مهمته وتاقت روحه للتحرر من هذا السجن الزائل الذي كبل الروح، تغادر الروح الجسد، فتترك الجسد جثة هامدة، فلا يكون الجسد إلاَّ سجنا وعائقا للروح التائقة للتحرر دون الوصول إلى المحل الأرفع[19].

تتمثل أيقونة الموت في رواية الموت عمل شاق للكاتب خليفة ثيمة رئيسة بنيت عليها حبكة الرواية، فالجسد فيها متعرض – كما قلنا سابقا – للإيذاء والقتل، فهو جسد متألم من جراء القتل، وتعرضه لأكبر قدر من العطب والإصابات البليغة والمستدامة.

فيظهر أن تخليص الروح من الجسد هو اتجاه الأجساد داخل الرواية، فكل طرف من الأطراف يراد تخليص أرواح من أجسادهم، فالجسد من وجهة نظر أفلاطون هو تخليص الروح منه، فهو يعد عائقا وقبرا للنفس، فالحياة موت للنفس؛ فلذلك يجب البحث عن الحياة الحقيقية عن طريق الموت[20].

ثالثا– الاتجاه الاجتماعي والنفسي:

يشكل الجانبان الاجتماعي والنفسي دورا مهما كحاضن للجسد، وبطبيعة العمل الروائي تنطلق في الغالب من الجانب الاجتماعي والجانب النفسي، فالرواية تعكس البيئة وما فيها من حياة الناس وغيرهم، فالراوي ينقل ما يحدث من أحداث وقصص في الحياة الواقعية إلى الجنس الروائي المتخيل المنطلق من واقع البعض.

تتحدث الرواية على تشتت اجتماعي ونفسي واضح من خلال الحرب والثورة وما فيها من مشاكل اجتماعية ونفسية كبيرة، حيث كمن هذا التشظي بين الشخصيات الرئيسة في الرواية، والذين شكلوا أفراد أسرة عبداللطيف السالم وهم أولاده الثلاثة (بلبل وحسين وفاطمة) هذا من جهة، ومن جهة أخرى الخلاف بين جماعتين كبيرتين؛ هما قوات النظام وقوات المعارضة في أجواء نفسية متوترة جدا.

كما أن أفراد عائلة عبداللطيف السالم (بلبل وحسين وفاطمة) مختلفون متنافرون فيما بينهم، فحسين متسلط على فاطمة منذ صغرها، فقد :"طلب من فاطمة السكوت رغم أنها لم تقل شيئا، فارتفع صوت بكائها أكثر.منذ طفولتهما يحب حسين أن يأمرها، وفاطمة تطيعه دون نقاش، تلبية طلب أخيها تشعرها بالتوازن والحماية .غضب حسين من بلبل "[21].

يورد السارد جزئية أخرى عن تنافر الثلاثة في المقطع الآتي "أنزعج حسين من صمتهما ... فطلب من فاطمة بعصبية أغلاق النافذة، وأخبرهما بتشفٍّ أنهم لن يصلوا إلى العنابية قبل منتصف الليل"[22].

فالأخوة الثلاثة لا يكاد يطيقون بعضهم البعض، فهم في حياتهم لم يجتمعوا كأخوة منذ وقت طويل جدا" منذ عشر سنوات وثلاثتهم لم يجتمعوا كعائلة لأكثر من ساعات في واجبات صباح العيد... حين غادروا المشفى، لم يخفوا إحساسهم بالضيق من وجودهم الاضطراري معا...لديهم فرصة حقيقية للحديث مرة أخرى عن أمكانية عودتهم كعائلة واحدة ، لكن حسين غير مكترث، بلبل ليس لديه أي رغبة وفاطمة تحاول القيام بدور أخت تجمع شمل العائلة بعد وفاة الأبوين"[23].

يتطرق السرد إلى معاناة فاطمة في حياتها فقد تحولت إلى جسد خالي من الحياة، وأصبحت أشلاء إنسان جراء تجاربها الحياتية المريرة، فقد أصبحت بخيلة ومهانة وفقدت كبريائها مع وصولها لسن الأربعين تزوجت برجل اسمه ممدوح يعمل سمسارا ويقوم بأعمال لرجال أعمال بعضها قذر، كانت مغترة بشبابها، وتذهب معه في سيارته لمكان دراستها، تزوجته رغم رفض أبيها له، الذي كان يصفها بالزئبق والتافه، أنجبت منه ولد وبنت، ومن ثم تطلقت منه بشكل ودي[24].

إن حياة أفراد هذه الأسرة مقلقة وغير مستقرة ومشتتة تمام، فتجارب حياتهم منهارة بصورة كبيرة جدا، هذا على صعيد أسرة عبداللطيف السالم، أسرة واحدة تعيش مرحلة التشتت، والمشاكل الكبيرة التي عصفت بحياتهم.

أما على صعيد الجماعات أو المجتمع نجد جماعات تتقاتل فيما بينها، ومن أبرز هاتين المجموعتين قوات المعارضة، وقوات النظام، فوقعت الكثير من المعارك بين الجانبين قتل خلالها العديد من الطرفين، فقد كانت الجثث دون دفن حيث بلبل "تذكر شغف زملائه برواية قصص إهمال عن البحث الجثث ودفنها . كانوا يتحدثون بغضب عن اكتظاظ المشافي بالموتى... كثيرا ما اضطر الأهل بعد إبلاغهم بموت أبنائهم للذهاب إلى مكان المعركة، والبحث عن جثثهم التي دفنت في مكان المعركة أو ضاعت وسط ركام الأبنية المدمرة ،وحديد هياكل الدبابات والمدافع المحترقة"[25].

القتلى من الطرفين كثر حيث تحول الموت إلى أمر عادي جدا بالنسبة للطرفين فمجموعة تقتل مجموعة أخرى بكميات كبيرة من أجل تحييدها، كذلك السجون ممتلئة من قوات المعارضة وأنصار الثورة من رجال وحتى نساء ومن أعمار مختلفة، فيورد السارد قصص إخفاء في السجون وتعذيبها بطرق شتى، فقد:" كانت الزنزانة مكتظة، أكثر من عشرين شخصا أعمارهم مختلفة، من بينهم امرأة

مسنة تتجاوز السبعين من عمرها،أخبرت فاطمة بأنها رهينة بدل ابنها الذي أنشق عن الجيش السنة الماضية ،أيضا شاب يده مقطوعة لا يتجاوز العشرين من عمره مع رفيقين يمثل عمره،أخبرهم بشكوك المخابرات في قطع يده في الاشتباكات"[26].

كثير من البشر يموتون، أو يختفون، أو يسجنون، ولا يعرف مصير الكثيرين ف"في السنوات الأربع الماضية اختفى الكثيرون، لم يعد الأمر مستغربا،عشرات الآلآف لا يعرف أحد مصيرهم"[27].

كل وسائل الإيذاء والإبعاد متوفرة بشكل كبير لدى الطرفين، حيث تزاح أجساد من قبل أجساد أخرى بطرق عدة ودون رحمة أو شفقة، فالمهم عند كل طرف هو تمكنه من تحقيق الفوز والنصر مهما كانت النتائج.

يعيش الأفراد والمجموعة حالة قلق نفسي واجتماعي عميقة، فلا قيمة لحياتهم، تشتت اجتماعي وأسري ومجتمعي، حياة كأنه موت أجساد حية لكنها معذبة نفسيا، أجساد مقطعة الأطراف مشوهة الجسد بسبب فقده ليده وهو في عمر الزهور، عجوز في السبعين من عمرها تعاني المرض وكبر السن تدفع ثمن انشقاق ابنها من جيش النظام فتوضع في السجن رهينة حتى يسلم نفسه.

فالسارد يطلق العنان المجال للجسد المعذب الموغل في معناته وقهره، فقد مرت عليه كل وسائل التعذيب، وشتى أنواع التعدي، فالجسد عنده يتعايش ويتأقلم مع كل أنواع العذاب والموت والجروح العميقة والعاهات.

فهو جسد مقهور قمعته السلطة وأهلكته المؤسسة، وعانى من صنوف التعذيب المادي والمعنوي بكل أنواعها، حيث طغيان الصورة الكريهة المسلطة على الجسد ويمعن الرواة في إبراز الإرهاق النفسي

والسلب وعدم القدرة، فيصور الفظاعة المسلطة على الجسد، ويكشف عن الجسد الراغب في التحرر[28].

رابعا- سيميائية المكان:

السيميائيات تدخل في شتى العلوم الإنسانية، فهي تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني، فهي أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة مرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق بالأيديولوجية الكبرى ، فالإنسان يتفاعل مع محيطه[29].

فالمكان عامل رئيس في بناء النص السردي، فلا سرد بدون مكان تتموضع فيه الشخصيات التي تقيم السرد وتحركه، وكذلك تتشكل فيه الأحداث، فلا سرد بدون مكان .

فالمكان عبارة عن علامة سيميائية مفعمة بالدلالة محيلة على الواقع والثقافة التي أوجدتها فإن هذه الدالة المكانية لها مدلولاتها الخاصة التي تعطينا الدلالة الاجتماعية[30].

فالمكان يحمل في ثناياه "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه...والمكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله،واسراره وكلما يتصل به وما وصل إليه من ما فيه ليورثه إلى المستقبل"[31].

شكل المكان في رواية الموت عمل شاق حضورا فاعلا أسهم في تشكيل طبيعة السرد فيها ، تجلى حضور المكان في دلالات عديدة، فقد تمظهر في عدة مواضع وأشكال منها الجسد والمستشفى والمشرحة، كذلك الشوارع والمدن، أضف إلى ذلك الحافلة (أو المكيروباص).

يستحضر السارد معاناة الجسد في عديد من المواضع في الرواية منها:

1- المستشفى والمشرحة:

المستشفى في طبيعته يشكل مكانا ضيقا ، يخضع بالطبيعة إلى فكرة التقاطبية التي طرحها غاستون باشلار،فيصور لنا المكان أليف ومريح وآخر غير أليف وموحش ومفزع (المكان الأليف وغير الأليف)[32].

يتناول السارد من خلال شخصية بلبل الذي يصف حاله بعد وفاة والده في المستشفى فيقول " خرج بلبل من المشفى"[33] ، وكذلك قوله "... نسى تجاهل حسين لوجود أبيه في المشفى"[34].

2- المشرحة : يصف السارد حال بلبل وهو بالقرب من المشرحة فيقول :"لم يجرؤ بلبل على مرافقة حسين الذي دخل إلى المشرحة"[35]. فالمشرحة شكلت مرحلة نهائية تنتهي إليها الأرواح والأجساد معا،وهي مكان ضيق مستقر غير متحرك يحتضن أجسادا خلت من الأرواح وبقت تلك الأجساد معذبة تعبة، فمرت الأجساد بمراحل عدة، تمثلت الأولى في الإصابة والإيذاء والثانية كانت مرحلة المستشفى والمرحلة الثالثة هي المشرحة، فالمستشفى والمشرحة مكانان ضيق حمل في ثناياه الألم والوجع والعذاب الي مرت به الأجساد في طريقها إلى الاضمحلال والتلاشي.

3- الميكروباص(الحافلة الصغيرة): هو وسيلة النقل الخاصة بحسين أخو بلبل، الذي نقل فيه جثمان أبيه لقريته من أجل دفنه، فقد احتضن الميكروباص عدد من الأجساد الحية والميتة على حد سواء، حيث جسد الأب الميت، وأجساد أبنائه الثلاثة (بلبل،وحسين،وفاطمة) ، يستحضر السارد معاناة الأبناء الثلاثة نقل جثمان أبيهم في جو معقد ومشحون موت وحرب وثورة، فيورد المقطع

السردي الآتي: "دون تلكؤ فك حسين كراسي الميكروباص وأعاد تركيبها بشكل صندوق مفتوح،قال:سنمدد الجثمان على المقعد الجانبي"[36].ويضيف السارد عن الميكروباص :"أغلق باب الميكرو، وعاد للانتظار قرب باب مدير المشفى"[37].

بعد وضع جسد أبيهم في الميكروباص، يصعد الأخوة الثلاثة داخله، يقول السارد " بسرعة طلب حسين من بلبل الصعود إلى السيارة،كما طلب من فاطمة بحزم تغطية الجثة بالبطانيات التي أحضرها من بيته"[38].

أربعة أجساد متراصة متزاحمة في مكان متنقل صغير، جسد ميت جثة دون روح(الأب) وثلاثة أجساد ميتة معذبة مع بقية روح (بلبل، وحسين، وفاطمة) ، يتنقلون في رحلة شاقة نحو قرية بعيدة جدا من المدينة التي يعيشون فيها، من أجل دفن أبيهم في قريته تنفيذا لوصيته.

فتسجد المكان،وخاصة المكان الضيق،في رواية الموت عمل شاق ، المتمثل في المستشفى والمشرحة والميكروباص (الحافة الصغيرة)، شكلت معاناة البشرية المعذبة في طريقها للخلاص، فتماهت الأجساد من خلال الأمكنة الثلاثة بين الحياة والموت، والألم والأمل، والظلم والعدل، الذي وقع على شخصيات الرواية الأربعة المتمثلة في أسرة عبداللطيف السالم، وهم :الأب الميت (عبداللطيف) وأبنائه الثلاثة الأحياء (بلبل وحسين وفاطمة) ، فالموت والهلاك الجسدي لهم جميعا الموت الطبيعي لشخصية الأب، والموت النفسي للأبناء الثلاثة .

النتائج

1- الجسد في الجنس السردي هو كل ما يسهم في بناء العمل السردي الروائي سواء أكان إنسانا أم جمادا أم حيوانا أم نباتا .

2- يشكل الجسد أيقونة سيميائية روائية تسهم في قراءة النص الأدبي عامة والروائي على وجه الخصوص قراءة فاعلة وهادفة.

3- للجسد مفاهيمه ودلالاته الثقافية والاجتماعية والنفسية والفكرية المودعة في ثنايا رواية الموت عمل شاق .

4- رصد البحث مجموعة من التمثلات في أطر عدة منها:الاغتراب والموت والاتجاه النفسي والاجتماعي ودلالة المكان.

5- تنفتح قراءة الجسد في رواية الموت عمل شاق للروائي خالد خليفة من خلال العنوان والموت والاغتراب والحياة وسيمائية المكان والاتجاهين النفسي والاجتماعي.

المصادر المراجع:

1- الجسد في شعر محمود درويش، نصر علي سالم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،عمان،الأردن، ط1، 2015.

2- الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، فريد الزاهي،أفريقيا الشرق، 1999 ،بيروت – لبنان.

3- الجسد بوصفه تمثيلا رمزيا في نماذج من الرواية النسائية، ميسا عز هدي الخواجا، مجلة كلية، جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية،ع2020/1/25.

4- الجسد والنظرية الاجتماعية،كرسشلنج، ترجمة منى البحر ونجيب الحصادي.

5- الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة،بغداد،العراق، 1986،.

6- أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، د افيدلو برتون،ترجمة محمد عربص اصيلا .

7- بنية السرد في القصص الصوفي المكونات، والوظائف، والتقنيات،ناهضة ستار،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،سوريا – 2003.

8- رواية الموت عمل شاق، خالد خليفة، مكتبة الفكر الجديد، بيروت – لبنان،2016.

9- سيميائية المكان في قصص حسن البطران القصيرة، مريم بنت عبدالعزيز العيد، مجلةالآداب،ع7، 2020،شبكة المعلومات الدولية.

10- فلسفة الجسد، سمية بيدوح، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت/لبنان، 2009.

11- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دارصادر،بيروت، لبنان ،ط1.

---

[1] – لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،ط1 ،ج3،ص120.

[2] – الجسد والنظرية الاجتماعية ، كرس شلنج ، ترجمة منى البحر ونجيب الحصادي، ص21.

[3] – أنثروبولوجيا الجسد والحداثة ، دافيد لو برتون ، ترجمة محمد عرب صاصيلا ص5.

[4] – أنثروبولوجيا الجسد والحداثة،د افيدلوبرتون،ص5.

[5] – أنثروبولوجيا الجسد والحداثة،د افيدلوبرتون،ص24.

[6] – فلسفة الجسد ، سمية بيدوح، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت/لبنان ، 2009، ص12.

[7] – ينظرأنثروبولوجياالجسدوالحداثة،دافيدلوبرتون، ص11-12

[8] – بنيةا لسرد في القصص الصوفي المكونات،والوظائف،والتقنيات ، ناهضة ستار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، سوريا – 2003، ص99.

[9] – رواية الموت عمل شاق ، خالد خليفة ، مكتبة الفكر الجديد، بيروت – لبنان،2016، ص5.

[10] – الموت عمل شاق،خالد خليفة،ص6.

[11] –الجسد بوصفه تمثيلا رمزيا في نماذج من الرواية النسائية، ميساء زهدي الخواجا، مجلة كلية ، جامعة الملك سعدود ، المملك العربية السعودية، ع2020/1/25، ص 94.

[12] – الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، فريد الزاهي، أفريقيا الشرق ، 1999 ، بيروت – لبنان، ص14.

[13] – الموتعملشاق،خالدخليفة،ص6.

[14] – المصدر السابق نفسه،ص15.

[15] – الجسد في شعر محمود درويش ،نصر سامي ،ط1، 2015، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ص30.

– الموت عمل شاق،ص9.[16]

– المصدر السابق نفصه،ص10.[17]

– الموت عمل شاق ، ص7.[18]

– الجسد في شعر محمود درويش، نصر علي سالم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1، 2015، [19] ص18.

– فلسفةالجسد ،ص14.[20]

– الموت عمل شاق،ص10.[21]

– المصدر السابق نفسه،ص18.[22]

–الموتعملشاق،ص20.[23]

–ينظر الموت عمل شاق،ص20–21–22–23–24–25.[24]

– المصدر السابق نفسه ، ص13–14. [25]

– الموت عمل شاق،ص25.[26]

المصدر السابق نفسه ، ص26.[27]

– الجسدفيشعرمحموددرويش، ص50.[28]

– السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكراد ، ص17.[29]

– سيميائية المكان في قصص حسن البطران القصيرة،مريم بنت عبد العزيز العيد ، مجلة الآداب ، ع7، 2020، شبكة [30] المعلومات الدولية،ص509.

– الرواية والمكان،ياسين النصير ،دار الحرية للطباعة،بغداد، العراق، 1986،ص 16–17.[31]

– ينظر جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ص42–43–44.[32]

– الموت عمل شاق، ص8.[33]

– المصدر السابق نفسه،ص9.[34]

– المصدر السابق نفسه،ص9.[35]

– المصدر السابق نفسه،ص9.[36]

–المصدرالسابق نفسه،ص10.[37]

– الموت عمل شاق،ص10.[38]